مطالبهم... وسرعان ما أذيع نداء الرؤساء العرب موقعاً من الملك غازي، ملك العراق، والملك عبد العزيز بن سعود، عاهل المملكة العربية السعودية، والامام يحيى حميد الدين، إمام اليمن، والأمير عبد الله، أمير شرق الاردن... وكانت النصوص واحدة: تطلب من شعب فلسطين الاخلاد للسكينة اعتماداً على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل... فأسرعت اللجنة العربية العليا لاصدار بيان تعلن فيه قرارها بالموافقة على تلبية نداء أصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الامير، داعية الأمة العربية الكريمة في فلسطين الى الاخلاد للسكينة، وانهاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من صباح الاثنين... الموافق ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٣٦»[١].

وقد تكرر تدخل الدول العربية في شؤون فلسطين بطلب من بريطانيا، كلما نهض الشعب الفلسطيني للنضال، حتى أن مؤتمر فلسطين الذي عقد في لندن العام ١٩٤٦ حضره مندوبون عن الدول العربية، ولم يحضره مندوب عن فلسطين. وفي كلمة فارس الخوري، رئيس الوفد السوري الى المؤتمر، قال: «انها لفرصة ثمينة حقاً ان تجتمع الدول العربية في هذا المؤتمر لتعبر عن أمل العرب في المسألة الفلسطينية، ولتنهض دليلاً حياً على ان الدول العربية في صميمها شعب واحد اتحدت آماله وآلامه، ولئن أسفنا لشيء... فهو ان نتلفت فلا نرى بيننا من يمثل فلسطين من أبنائها»[٢].

وتلك كانت بدايات غياب وتغييب الشعب الفلسطيني عن التداول في شؤون قضيته، بالرغم من نضاله في سبيلها.

وفي العام ١٩٤٨، بينما كانت جموع الفلسطينيين تخوض معاركها ضد العصابات الصهيونية، انتظرت الدول العربية خروج بريطانيا لتدخل بجيوشها في تظاهرة عسكرية استعراضية، انتهت بهزيمتها، وبتوقيع اتفاقيات هدنة مع الدولة الاسرائيلية، التي أعلن عن تشكيلها في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨. وقد دخلت الدول العربية هذه الحرب مجتمعة، لكنها وقعت على اتفاقات الهدنة بشكل افرادي، خلال الفترة الواقعة بين شباط (فبراير) وتموز (يوليو) من العام ١٩٤٩؛ بدأتها مصر وانهتها سوريا.

وقد اشتملت هذه الاتفاقات كلها على نص كهذا النص: «تعتبر اقامة هدنة بين قوات الفريقين المسلحة خطوة لا بد منها في سبيل تصفية النزاع المسلح وإعادة السلم الى فلسطين»، الذي ورد في البند الرابع من المادة الاولى من اتفاقية الهدنة المصرية ـ الاسرائيلية.

وتوضح الوثائق، ان الحكومات العربية، التي رفضت، في حينه، قرار تقسيم فلسطين، لم تكن معنية بتحريرها. فقائد الجيوش العربية، الملك عبد الله، كان على اتصال دائم بالاسرائيليين لترتيب اقتسام فلسطين، فقد عُقد في الشونة مؤتمر بين اسرائيل والاردن في ١٩٤٩/٣/٣٠، ترأس الوفد الاردني فيه الملك عبد الله، بينما ترأس الوفد الاسرائيلي الدكتور ايتان. وقال رئيس الحكومة الاردنية، آنذاك، السيد توفيق أبو الهدى، في كلمته: «تعلمون سيادتكم ان السياسة الاصلية التي سرنا عليها، هي ان يقف الجيش العربي على حدود القسم العربي في فلسطين ولا يتعداه، ولم يتعده بالفعل، ولو ان تلك السياسة لم تقل أو تنشر... ويمكنكم ان تقدروا صعوبة موقفنا في تنفيذ تلك السياسة المرسومة، أو في الانجراف مع سياسة الدول العربية مجاراة لها وللتغطية فقط»[٣].

هذا ما كان عليه موقف قائد الجيوش العربية التي دخلت «لتحرير» فلسطين، كما أعلنت